سينما

«نتفليكس» تنقذ البشرية بالعنف

حرس قديم وشرّ دائم

يروي «الحرس القديم» حكاية جنود ينتقلون في الجغرافية والزمن لإنقاذ البشرية من الشرّ وحماية الصالحين الذين يُفيدون الناس

نديم جرجوره

البطولة والخير الأميركيان فاعلان في النتاج السينمائيّ الهوليوودي، و«نتفليكس» تساهم في الترويج لهما أكثر فأكثر. «الحارس القديم» (2020) لجينا برنس . بايثُوود (بدءاً من 10 يوليو/ تموز 2020، على شاشة هذه المنصّة الأميركية) نموذج جديد لفكرة البطولة والخير الأميركيين، اللذين . لتحقيق أهدافهما . «يُضطرّ» المناضلون من أجل تعميمهما في العالم إلى ممارسة عنفٍ، يتجاوز أحياناً كلّ متوقّع. الخلود البشريّ فكرة راسخة في صناعة الفنّ الهوليوودي أيضاً. الشعور بالذنب إزاء قتلٍ وقمع وتعذيب حاضرٌ بدوره في تلك الصناعة. يُمارَس العنف في أوقاتٍ كثيرة، لكنّ ظهور طفلٍ أو مراهِقة يحول، غالباً، دون الاستمرار في ممارسته، خصوصاً إنْ ينتمي الطفل أو المراهِقَة إلى جنسيات أو إثنيات أو أعراق أو أصول «غير أميركية»، وتحديداً شرق أوسطية أو آسيوية أو أفريقية، فالعنصرية الهوليوودية تنعكس، من وقتٍ إلى آخر، في إبراز حسّ إنسانيّ غير موصوف لجندي أميركي إزاء أناسٍ منتمين إلى تلك الجغرافية والأصول. «الحارس القديم» (The Old Guard) يتمثّل بـ4 «جنودٍ خالدين»، ينتقلون في الأزمنة والأمكنة لإنقاذ البشرية من طغيان الشرّ، والعنف بالنسبة إليهم مُلحّ وضروري للغاية في مواجهة تنانين القتل والقمع والهرطقة والتجارة والمال والطبّ وغيرها. هؤلاء الـ4 أساسيون، وآخرون ينتشرون هنا وهناك، والحلم/ الكابوس وسيلة تواصل غير واعٍ بينهم. يُصابون بجروح خطرة، لكنّهم يُشفَون سريعاً، وبعد حين هناك من يصعب التئام جروحه، فتبدأ رحلة الموت، لسببٍ يجهلونه، كجهلهم سرّ خلودهم.

الانتقال في الأزمنة والأمكنة، منذ سنين طويلة وفي جغرافيات عدّة، يهدف إلى تحقيق أمرين اثنين: القضاء على الشرّ بشتّى الوسائل، وإنقاذ من يُصبح لاحقاً «مُفيداً» للبشرية، بعلمه وعبقريته وأفكاره وحساسيّته الإنسانية. الخلود صفة الجنود الـ4 والذين يُشبهونهم، فالخلود حاجة لأنّ البشرية، منذ ولادتها، تعاني كثيراً بسبب الشرّ وأفعاله. يخوضون معارك، ويُشاركون في حروب. يُسافرون في الجغرافية والزمن. يلتقون أناساً متناقضين للغاية، بين شرّ قاتل وخير فعّال يصلح لخلاص البشرية من خرابٍ يُراد لها دائماً. هم غير خائفين. بطولاتهمُ منبثقة من شجاعةٍ معطوفة على حسّ إنسانيّ كبير، ففي «الحرس القديم» ثرثرات مطوّلة عن الخشية من الوحدة والرغبة في الخلاص والراحة، وعن الرعب إزاء بشاعة الدنيا والمجتمعات والناس. القتل مفيد، لكنّه يؤدّي إلى تأنيب ضمير. هذه سمة هوليوودية بامتياز، تُسوَّق غالباً بحرفية سينمائية متينة الصُنعة والجذب.

في مُقدّمة المشهد، هناك الأميركية تشارليز ثيرون (آندي/ أندروماك دو سكيثي) والبلجيكي ماتياس شونارتس (بووكر/ سيباستيان لو ليفر). إليهما، ينضمّ الهولندي (التونسي الأصل) مروان كنزاري (جو/ يوسف القيساني) والإيطالي لوكا مارينلّي (نيكي/ نيكولو دي جينوفا). لاحقاً، يعثرون على الجندية الأميركية نايل فريمان، التي تؤدّيها الأميركية كيكي لاين. الـ4 الأوَل يشكلون فريقا متماسكا، تربط بين أعضائه صداقات مديدة، تتجاوز مئات السنين أحياناً. لكنّ بووكر مُتعَب. شعوره بالوحدة قاتل. قلقه كبيرٌ إزاء وداعه معارف وأصحاب يذهبون إلى الموت. يريد سكينة، فيلجأ إلى خديعة، متعاوناً مع جيمس كوبلاي (شويتال أجيوفور)، العميل السابق في «وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية»، الذي يُلاحق الفريق لمعرفة سرّ خلود أعضائه، مموّلاً مطارداته إياهم من حساب ستيفن ميرّيك (هاري ميلّينغ)، أصغر مدير تنفيذي لأكبر شركة تصنيع أدوية، يرى في اكتشاف سرّ خلودهم أرباحاً طائلة لسنين طويلة مقبلة (صراع من نوعٍ آخر بين خير وشرّ).

الصراع بين كوبلاي، المتألم لموت زوجته بسبب مرض سرطاني، وميرّيك، المتعجرف والرأسماليّ الجشع، يبدأ بطيئاً وهادئاً، قبل انفجاره في منتصف الأحداث تقريباً، ما يدفع الأول إلى مساعدة الخالدين في القضاء على الثاني. كوبلاي يريد سرّ الخلود لإنقاذ البشرية من أمراضٍ وموتٍ، لكنّ هدفه الإنساني (!) مُصابٌ بعطب المال، فميرّيك غير مكترثٍ بهذا، لشدّة هوسه بالأرباح والشهرة. يُكلّف كوبلاي فريق الخالدين بمهمّة، تنكشف الخديعة فيها سريعاً، فتبدأ مطاردة هؤلاء للعميل الاستخباراتي السابق، بعد العثور على نايل، و«خطفها» من فرقتها العسكرية المرابضة في أفغانستان، قبيل لحظات على ترحيلها إلى أوروبا، لأنّ الجميع يُصابون بالهلع، إذْ تُشفى جروحها الخطرة للغاية بسرعة فائقة، ما يُثير دهشتهم وخوفهم.

مُطوّلات بصرية لا طائل منها، في فيلم تبلغ مدّته 125 دقيقة. بعض المُطوّلات ثرثرات تنظيرية مملّة عن الوحدة والذنب والخطأ والخطيئة والرغبة في الخلاص والتحرّر من الخلود، رغم استحالة ذلك. مشاهد القتال العنفيّ والمطاردات لا جديد فيها. التمثيل عاديّ، رغم حِرفيته المهنيّة. بعض السخرية مُحبَّبة، ولقطات عدّة مُثيرة لضحكٍ عابر، من دون أي فائدة كوميدية أو ساخرة. إمكانية تحقيق جزء ثانٍ من «الحرس القديم» يوحَى بها في لقطاتٍ أخيرة. السيناريو (غريغ روكا) مقتبس من «كوميكز» بالعنوان نفسه لروكا نفسه ولياندرو فرناندیز. التصوير (باري أكروید وتامي رايكر) حِرفيّ للغاية، لكنّه أعجز من أنْ يُسحِر بجماليات فنية. خطابه الإنساني (!) أيديولوجيٌّ نافر ومُكرَّر.

«الحرس القديم» امتدادٌ لسلسلة أفلام هوليوودية (تستكملها «نتفليكس») بين حينٍ وآخر، تبغي العنف وسيلة لإنقاذ الخير من براثن الشرّ، ولا بأس بتضحيات جانبية بأبرياء، فالهدف «نبيل» و«سام».

العنف وسيلة سينمائية لإنقاذ الخير من براثن الشرّ

تشارليز ثيرون: «خالدة» لإنقاذ البشرية من موتها (باسكال لو سانغرو تان/Getty)

بدون عمّال الصالات لا يكتمل عمل المخرج

يصف السينمائيّ البريطاني الأميركي كريستوفر نولان (1970) نفسه بأنّه «محامٍ شرس» في دفاعه عن الصالات السينمائية. الأميركي ريتشارد غلفوند (1954)، رئيس المجمّعات السينمائية IMAX، يقول إنّ أحداً في الولايات المتحدّة الأميركية لا «يضغط من أجل إعادة افتتاح الصالات» هناك، إلا نولان، مُضيفاً أنّه يجهد لتحقيق ذلك «كي تُطلَق العروض التجارية لفيلمه الأخير» (Tenet). نولان غير مُتحمّس لكلام غلفوند، لكنّه يناصر الصالات والعاملين فيها، المغلقة أبوابها منذ منتصف مارس/ آذار 2020 في العالم، بسبب تفشّي وباء «كورونا» المستجدّ.

خطاب نولان غير مرتبط بفيلمه الأخير فقط. في 20 مارس/ آذار 2020، يقول في «واشنطن بوست» إنّ صالات السينما «جزءٌ من الحياة الاجتماعية الأميركية، يحتاج إلى مساعدتنا». بعد أشهر، يُكرِّر موقفه: «في بداية الوباء، أشعر بالحاجة إلى قول هذا» («بروميير» الفرنسية، يوليو/ تموز . أغسطس/ آب 2020). يستعيد نصّ «واشنطن بوست»، ليُبيِّن أبرز عناوينه مجدّداً، وليُصرّ على مسألة أساسيّة بالنسبة إليه: «وراء الأفلام، هناك أناسٌ يعملون لإطلاق عروضها التجارية، ولجعلها مرئيّة». هؤلاء هم المُشغّلون وعارضو الأفلام ومستقبلو المشاهدين على أبواب الصالات لمساعدتهم على الجلوس في مقاعدهم، والعاملون/ العاملات في مجالات أخرى مرتبطة بالصالة، كبيع بطاقات الدخول والمشروبات والمأكولات المسموح إدخالها إلى الصالات، وعمّال التنظيفات والصيانة، وغيرهم.

«من دون هؤلاء الأشخاص، الذين يُعدَّون بالآلاف، والذين يستقبلون المشاهدين ويُسهّلون مشاهدة الأفلام، يبقى عملي كمخرج غير مُكتمل. يجب التذكير أنّ الحرب ضد «كورونا» ستؤثّر على العاملين في الصالات»، يقول نولان في حواره مع غايل غولَن (بروميير). اهتمامه بصناعة الأفلام خارج بريق السينما يُنبِّه إلى تفاصيل أساسية ومهمّة. إغلاق الصالات ضربة اقتصادية . اجتماعية تُصيب كثيرين في العالم. مصيرهم معلّق. أحوالهم اليومية معطوبة. الدعوة إلى إيجاد حلول عمليّة منطلقة منذ اللحظة الأولى. قوانين العمل «ربما» تُساعد، لكن المنطق الرأسماليّ غير مُكترث بعمّال وعائلاتهم. نولان يحثّ على مساعدتهم، ويطلب الإسراع في إعادة الصالات، وهذا ربما لهدفٍ ذاتيّ أنانيّ، لأنّ له فيلماً جديداً يرفض عرضه عبر منصّات ومواقع إلكترونية مختلفة. لكنّ كلامه يعكس واقعاً أليماً، والتنبّه إلى «تشريد» آلاف العاملين في قطاع السينما مطلوبٌ وملحّ، والعمل على إيجاد حلول عمليّة ضرورة لها الأولوية أيضاً في زمن «كورونا».

نديم...

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

كريستوفر نولان: محامٍ شرس عن الصالات (باربارا البر/Getty)

المجلات الفنيّة: حِرفية غربيّة وغياب عربيّ

بإصدارها عدداً خاصّاً (يوليو/ تموز . أغسطس/ آب 2020) بعنوان «رومي، مصيرٌ مكسور» (عن رومي شنايدر)، تؤكّد المجلة الفرنسية «باري ماتش» أنّ الصحافة الفنيّة جزءٌ من العمل الصحافي الذي يلتزم قواعد المهنة وأصولها، بعيداً عن ثرثرة ونمائم وأخبارٍ غير مُفيدة. لكنّ المجلة غير مُطالَبة بعددٍ خاصّ كهذا كي تؤكّد المؤكّد، فمسارها معروف، واشتغالاتها الفنية مرتكزة على مواضيع سينمائية (وغير سينمائية) تبتعد عن النقد والسجال، وتقترب من المعلومة والحكاية والسرد والتفاصيل، التي يتضمّن بعضها (على الأقلّ) نمائم تُغني أحياناً النص الأصلي، وتمنح القارئ متعة التعرّف على جوانب غير مُتداولة كثيراً في حيوات مشاهير، وبعض المشاهير عاملٌ في السينما. الصحافة الفنيّة مطلوبة في بلدان ومجتمعات كثيرة. إلى جانبها، أقلّه في الغرب، هناك صحافة نقدية وسجالية متخصّصة، وأخرى «صفراء»، كتلك التي يشتهر بها عالم عربي تميل غالبيته إلى الثرثرة والنمائم والفضائح و«كشف المستور»، لانفضاضه المزمن عن كلّ نقاشٍ وسجال نقديين، وعن كلّ مفاهيم الصحافة الفنيّة أيضاً. تزداد المُصيبة العربيّة سوءاً في غياب صحافة نقدية وسجالية متخصّصة، رغم حضور نقّادٍ يناقشون ويحاورون ويقرأون ويُشاهدون، وينشرون كتاباتهم في صحفٍ ومجلاتٍ غير سينمائية، بينما تتخبّط غالبية المجلات السينمائية النقدية العربية الجادة في تكرار المواضيع نفسها، أو في استعادة ماضٍ، أو في النبش غير المفيد وغير التجديديّ وغير المؤدّي إلى جديدٍ يُذكر (غالباً) في المكرَّر.

صفحات سينمائية عدّة في صحفٍ ومجلات عربيّة تستمرّ، رغم أزمات وانهيارات ومصائب، في إثارة نقاشاتٍ عبر كتاباتٍ تقرأ أفلاماً، وتحاور سينمائيين، وتنشر ملفات، وتتناول قضايا، معظمها آنيّ. والصحافة الفنيّة العربيّة تندثر، علماً أنّ الماضي العربيّ يمتلك في ذاكرته الجماعية مجلات فنية عدّة، غير متحرّرة كلّياً من ثرثرة ونمائم وفضائح، لكنّ المجلات النقدية والسجالية فيه نادرةٌ، وإصدارها مؤقّت، وجدّيتها تحول دون تمكّنها من الاستمرار والتطوّر.

ن.ج.

أقوالهم

صادفني حظٌّ كبيرٌ ساعدني على عدم قبول التمثيل في فيلم لا أشعر به، وهذا من أجل المال فقط. لكن الاختيار ليس سهلاً أبداً بالنسبة إليّ. بين السيناريو والمخرج والـ«كاستينغ»، لا شيء يسود وحده حقيقةً، بل كلّ شيء. لا أفكّر أبداً على مستوى النوع، بل بحسب حالتي النفسية/ الذهنية لحظة الحصول على مشروع.

شيويتل إيجيوفور

أبحثُ عن ذاتي. حقيقةً، لا أزال لا أعرف من أنا كحِرفيّ وكبهلوانيّ. تماماً كجميع المنتمين إلى هذا الجيل، الذي كان يصنع نفسه بنفسه، وفي اللحظة ذاتها، يُشاهده الجمهور أثناء تطوّره. سريعاً، ظهرنا علناً بقوّة. وفي 5 أعوام، عرف الجميع نجاحات مختلفة في السينما.

مايكل يوون

منذ زمنٍ بعيد، احتلّت السينما مكاناً أساسياً في حياتي. عند بلوغي 8 أعوام، بدأت أتلقّى دروسي الأولى في المسرح، لكن من دون التفكير في جعل التمثيل مهنة لي. والداي كانا بعيدَين آلاف الكيلومترات عن هذه الصناعة. مع هذا، وبعد أول «كاستينغ» لي، انخرطت في هذا العالم إلى اليوم.

سِييرّا ماك كورميك

أفعالهم

Light Of My Life لكايسي آفلك مخرجاً وممثلاً، إلى جانب **آنّا بنيوفسكي** (الصورة): في مستقبل قريب، يُقضى فيه على الإناث جميعهنّ، يحاول أب حماية ابنته الوحيدة من هذا المصير، بعد نجاتها من الموت بأعجوبة. في عالم وحشي تسيطر عليه الغرائز، يكمن التحدّي في مكان آخر: عند انهيار كلّ شيء، كيف نحافظ على وهم حياة يومية خالية من الهموم، وعلى علاقة وثيقة بين أب وابنته؟

Sister (الصورة) لـ **سْفلْتانا تْسوتسوركوفا**: تحاول راينا، بمزاجها المتقلّب ووجهها الملائكي، البقاء على قيد الحياة مع والدتها وشقيقتها، رغم المصاعب التي تحاصرهم. يصنع الثلاثي تماثيل لبيعها للسيّاح القادمين إلى قريتهم البلغارية. ولكي تهرب من الملل، تبتكر راينا قصصاً للتسلية، تنتهي بها إلى إفقاد العائلة توازنها.

The High Note لـ **نيشا غاناثْرا** (الصورة): غريس ديفيس نجمة موسيقية تمتلك «أنا» متضخّمة تتلاءم وموهبتها الكبيرة. ذات يوم، تقترح عليها مديرة أعمالها خطة عمل جديدة تؤدّي، في حال نجاحها، إلى تغيير حياتها كلّياً.